۱۶۵۴۸

مجله	الازهر
تاریخ نشر	ربیع الاولی ۱۳۵۷
شماره	الجزء الثالث ، المجلد التاسع
شماره مسلسل	
محلّ نشر	مصر
زبان	عربی
نویسنده	یوسف الدجوی
تعداد صفحات	۱۵۰ - ۱۵۵
موضوع	التفسیر، سورة الاعلی
سرفصلها	
کیفیت	
ملاحظات	

التفسير

سورة الاعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى . « والذى قدّر فهدَى ، والذى أخرج المرعى فجعله غُثاء أحْوَى ، سنُقرئك فلا تنسى ، إلا ما شاء الله ، إنه يعلم الجهر وما يخفَى ونيسّرك لليُسرى » :

ذكرنا لك طرفا من تقدير الله تعالى المبنى على العلم والحكمة فى خلق الانسان ، ونذكر لك اليوم نماذج صغيرة فى خلق بعض العوالم ، فنقول :

من تقديره تعالى المنطوى على الأسرار العجيبة والحكم الغريبة التى لا يحيط بها إلا رب العالمين ، أنْ فاوت بين أشكال الكواكب ومقاديرها ، وألوانها وحركاتها ، وأماكنها ومداراتها ، فجعل منها الكبير والصغير والمتوسط ، والأبيض والأحمر ، إلى غير ذلك . ثم جعلها مختلفة المنازل ، فمنها ما يتوسط قبة الفلك وما يكون فى جوانبها ، ثم خالف بينها فى الحركة التى تقطع بها البروج ، فمنها ما يقطع الفلك فى شهر ، ومنها ما يقطعه فى عام ، ومنها ما يقطعه فى ثلاثين عاما ، ومنها ما يقطعه فى أضعاف ذلك .

ثم إنها دائبة الحركة لا تفتر ولا تنى على مر الدهور وكر العصور :

شمـوس فى البرية مشرقات ... نجـوم فى الدياجى لامعـات
بطول الدهر دوما سابحـات ... إلى ما لست أدرى طـائرات
يطير له بها الجرم السميك

فسبحان من قدرها أحكم تقدير ، ودبرها أحسن تدبير !

ثم انظر بعد ذلك إلى كثرتها التى تفوق الحصر ، والى اختلاف طلوعها وغروبها ، فبينما ترى كوكبا يأخذ فى الغروب إذا كوكب آخر قد طلع وهو آخـذ فى الارتفاع والتصاعد ، وكوكب آخـر فى الربع الشرقى ، وكوكب آخر فى وسط السماء ، وكوكب آخر قـد مال عن الوسط ، وآخر قـد دنا من الغروب وكأنه رقيبه ينتظر بطلوعه غيبته ، الى آخر مالا يأتى عليه البيان . وقد ذكرنا منه جملة فى بعض ما كتبناه عن الاورد أوفبرى وغيره .

ويحسن بنا هنا أن ننشد قول القائل :

عجبا للطبيب يلحد فى الحـا ... لق من بعد درسه التشريحا
ويرينا علم النجوم الذى يو ... جب للدين أن يكون صريحا

ثم لننتقل إلى ما فى الأرض من التقدير البديع ، فترى الحق سبحانه وتعالى جعلها فراشا لتكون مقر الحيوان ومسكن الانسان ، وجعلها ذلولا تطؤها الأقدام ، وتنبت فيها الزروع ويعمل منها اللبن ، وتبنى فيها الأبنية ، ولو جعلها من حجر أو حديد لم تمكن المعيشة عليها لإنسان ولا حيوان ، فهى ذلول مسخرة لما يريد العبد منها ، وهى له كِفات فى حياته ومماته .

وبالجملة فقد هيأها لكل ما يراد منها ، فاخرج منها ماءها ومرعاها ، وجعل فيها كل ما يحتاج اليه من على ظهرها من النبات والأقوات ، والفواكه والثمار ، والورود والأزهار ، فلك فيها كل ما تميل اليه نفسك ويصبو اليه حسك ، من منظور ومسموع ، ومشموم وملموس ، وما تحتاج اليه من الغذاء والدواء ، بل أوجد منها الرجال والنساء : « ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشَر تنتشرون » . فليت شعرى ما هـذه الأرض التى أخرجت لنا جميع الأشياء حتى الرجال والنساء ، وماذا أودع فيها حتى آتتنا كل ما نحتاج اليه مما يكون وجودنا متوقفا عليه !

ومن آيات الأرض التى اقتضتها عناية الحكيم تعالى أن جعلها مختلفة الأجناس والصفات والمنافع ، فهذه سهلة وهذه حزنة ، وهـذه تنبت وتلاصقها أرض لا تنبت ، وهـذه خصبة وتلاصقها رمال ، وهذه صلبة ويليها رخوة ، وهذه سوداء ويليها أرض بيضاء ، وهذه تصلح لنبات كذا وهذه لا تصلح له بل تصلح لغيره (ليحتاج الناس بعضهم لبعض ، وليكون ذلك سببا فى التآلف والتعارف) الى غير ذلك من الأسرار . ويكفيك فى هذا قوله تعالى : « وفى الأرض قِطَعٌ متجاوراتٌ وجناتٌ من أعنابٍ وزرع ونخيل صِنوانٌ وغيرُ صِنْوانٍ يسقى بماء واحد ، ونفضّل بعضها على بعض فى الأكُل ، إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » .

فاشكر إلهك الذى نوعها هذا التنوع ، وفرق أجزاءها هذا التفريق ، وخص كل قطعة منها بما خصها به ، وألقى عليها رواسيها ، وفتح فيها السبل ، وأخرج الماء والمرعى ، وأمسكها عن الزوال ، وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها ، وأنشأ منها حيوانها ونباتها ، ووضع فيها معادنها وجواهرها ومنافعها ، وهيأها مسكنا ومستقرا للأنام ، وجعلها ذلولا غير مستصعبة ولا ممتنعة ، ووطأ مناكبها وذلل مسالكها ، ووسع مخارجها ، وشق أنهارها ، وأنبت أشجارها وأخرج ثمارها ، وصدعها عن النبات ، وأودع فيها جميع الأقوات ، وبسطها

وفرشها ، ومهدها وطحاها ودحاها ، وجعل ما عليها زينة لها . وهو الذى يمسكها أن تتحرك الحركات المهلكة فيسقط ما عليها من بناء ، ويموت ما عليها من حيوان وإنسان . وهو الذى أنشأ منها النوع الانسانى الذى هو أبدع المخلوقات وأحسن المصنوعات ، وجعلها حافظة لما استودع فيها من المياه والمعادن والأرزاق والحيوان ، والذى جعل بينها وبين الشمس والقمر هذا القدر من المسافة ، فلو زادت على ذلك لضعف تأثرها بحرارة الشمس ونور القمر ، فتعطلت المنفعة الواصلة الى الحيوان والنبات بسبب ذلك ، ولو زادت فى القرب لاشتدت الحرارة والسخونة فاحترقت أبدان الحيوان والنبات . وهو الذى جعل فيها الجنات والحدائق والعيون ، وجعل باطنها بيوتا للاموات ، وظاهرها بيوتا للأحياء . وهو الذى يحييها بعد موتها فينزل عليها الماء من السماء ثم يرسل عليها الريح ويطلع عليها الشمس فتاخذ فى الحمل بما يتخلق فى بطنها ، فاذا كان وقت الولادة وجاءها المخاض اهتزت وأنبتت من كل زوج بهيج . فحرارة الربيع للإخراج ، وحرارة الصيف للإنضاج . وبالجملة لو لم يكن هذا التدبير العجيب لاختلت مصالح العالم وفسد نظام الكون .

ومما يحسن أن تلفت نظرك إليه ، ولعلك حريص عليه ، أن الأرض فيما أثبتته الاكتشافات الجديدة ، وهو مذهب قديم أيضا كما فى كتب الفلسفة القديمة ، أن لها حركتين : حركة حول نفسها ، وحركة حول الشمس ، وأنها تسير بغاية السرعة ونحن عليها لا نحس بشىء من ذلك . فأى تدبير أحكم هذا الصنع ، وأى علم أتقن هذا الإبداع ، وأى قدرة نفذته وأحكمت تلك العلاقات التى بين الأرض والشمس ، بل بين عالم الأرض وعالم السماء ؟ وأمر الشمس فى جريانها وتدبيرها مع توابعها من السيارات أعجب من ذلك كله .

ولنتل هنا قوله تعالى : « والشمس تجرى لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون »

فيالك من آيات حق لو اهتدى ... بهن مريد الحق كن هواديا
ولكن على تلك القلوب أكنة ... فليست وإن أصغت تجيب المناديا

والخلاصة الوجيزة : أن المراد بالتقدير والتسوية أنه تعالى خلق ما أراد على وفق ما أراد ، موصوفا بوصف الإحكام والإتقان ، مبرأ عن الاضطراب والتشويش .

والهداية قد تكون هداية فكر وتعقل كما فى هداية الانسان الى كثير من مصالحه ، وقد تكون هداية جبلية بالإلهام كما فى الحيوان . (وإيداع تلك القوى الطبعية فى الأشياء هو نوع من الهداية والتسخير) . وقولهم إن كذا طبيعى معناه أنه إلهى لا تعمل فيه . وكل

ما كان جبليا لا دخل لصاحبه فيه قيل له طبيعى ، إشارة إلى أنه على غاية ما يكون من الإتقان ، لأنه إلهى محض لا دخل لعمل الفكر فيه . فاذاً قولنا : طبيعى ، مرادف لقولنا : إلهى .

أما قوله تعالى : « والذى أخرج المرعى » فاعلم أنه سبحانه لما بين ما يختص به الناس أو هو ظاهر فيهم ، أتبعه بذكر ما يختص به غير الناس من النعم ، فقال : « والذى أخرج المرعى » أى هو الذى أنبت العشب ، فلا ينبغى أن يعبد غيره من الأصنام التى يعبدها المشركون . والمرعى : ما تخرجه الأرض من النبات ومن الثمار والزروع والحشيش . وروى عن ابن عباس أنه الكلأ الأخضر .

أما الغثاء : فهو ما يبس من النبات فحملته الأودية والمياه وألوت به الرياح .

وأما الأحوى : فهو الأسود . وقال بعضهم : الأحوى هو الذى يضرب الى السواد . وقال الفراء وأبو عبيدة : الأحوى هو الأسود لشدة خضرته ، كما قيل مُدهامَّتانِ ، أى سوداوان لشدة خضرتهما .

وهذه الأوصاف يتضمن كل منها التدريج ، ففى الوصف بها تحقيق لمعنى التربية ، وهى تبليغ الشىء كماله شيئا فشيئا ، وفى نقل الأشياء من طور الى طور ومن حال الى حال دليل على تصرف القادر العظيم والاله الحكيم ، كما قال بعد أن بين أطوار الانسان من النطفة والعلقة والمضغة ثم نفخ الروح فيه « فتبارك الله أحسن الخالقين » وكما قال « مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا » . وقد أفاض علماء التوحيد فى تغير العالم ودلالته على الحدوث ، والبرهنة بذلك على وجوده تعالى وقدرته ومشيئته وحكمته .

أما قوله : « سنقرئك فلا تنسى » فهو بيان لهداية الله تعالى الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم إثر بيان هدايته تعالى العامة لكافة مخلوقاته ، وهى هدايته عليه الصلاة والسلام لتلقى الوحى وحفظ القرآن الذى هو هدى للعالمين . ويستبين منه التسبيح الذى ينزه به ربه المأمور به فى أول السورة . فان تنزيهه تعالى وما يليق به من جلال وكمال يجب أن يؤخذ من الوحى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لا من كلام أرباب العقول الذين يصيبون ويخطئون . والسين للتنفيس أو التأكيد .

أما قوله : « إلا ما شاء الله » ففيه احتمالان : أحدهما أن يقال : هذا الاستثناء غير حاصل فى الحقيقة ، وأنه عليه السلام لم ينس بعد ذلك شيئا . قال الكلبى : إنه عليه السلام لم ينس بعد نزول هذه الآية شيئا . وعلى هذا التقدير يكون الغرض من قوله : « إلا ماشاء الله » أحد أمور :

(١) التبرك بذكر هذه الكلمة على ما قال تعالى : « ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله » . وكأنه تعالى يقول : أنا مع أنى عالم بجميع المعلومات وعالم بعواقب الأمور

على التفصيل لا أخبر عن وقوع شيء فى المستقبل إلا مع هذه الكلمة ، تبيينا لكون الأشياء كلها مرتبطة بمشيئتنا ، وتعليما لكم أن ترجعوا كل شيء إلينا ، فعليكم أن تقولوها فى كل شيء ، وأن تلاحظوها عند كل عمل .

(٢) قال الفراء : إنه تعالى ماشاء أن ينسى محمد عليه السلام شيئا ، إلا أن المقصود من ذكر هذا الاستثناء بيان أنه تعالى لو أراد أن يصير ناسيا لذلك لقدر عليه كما قال : « ولئن شئنا لنذهبنّ بالذى أوحينا إليك » ، ثم إنا نقطع بأنه تعالى ماشاء ذلك . وقال لمحمد عليه السلام : « لئن أشركت ليَحبَطن عملُك » مع أنه عليه السلام ما أشرك ألبتة ، فهى من هذا القبيل .

وبالجملة ففائدة هذا الاستثناء أن الله تعالى يعرفه قدرة ربه حتى يعلم أن عدم النسيان من فضل الله وإحسانه لا من قوته . فكأن المقصود من ذكر هذا الاستثناء يقاؤه عليه السلام على التيقظ فى جميع الأحوال .

(٣) يصح أن يكون الغرض من قوله إلا ماشاء الله ، نفى النسيان رأسا كما يقول الرجل لصاحبه : أنت سهيمى فيما أملك إلا ماشاء الله ، ولا يقصد استثناء شيء .

(٤) قال مقاتل : إلا ما شاء الله أن ينسيه ، ويكون المراد من الإنساء هاهنا نسخه كما قال : « ما ننسخ من آية أو نُنسها نأت بخير منها أو مثلها » فيكون المعنى : إلا ما شاء الله أن تنساه على الأوقات كلها فيأمرك ألا تقرأه ولا تصلى به ، فيصير ذلك سببا لنسيانه وزواله عن الصدور .

أما قوله تعالى : « إنه يعلم الجهر وما يخفى » ففيه وجهان :

أحدهما : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرأ مع جبريل عند الوحى مخافة النسيان ، فقيل له : إن الله عالم بجهرك فى القراءة مع قراءة جبريل عليه السلام ، وعالم بالسر الذى فى قلبك وهو أنك تخاف النسيان ، فلا تخف فأنا أكفيك ما تخافه . ويكون مثل قوله « لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرءانه ، فاذا قرأناه فاتبع قرءانه » .

والثانى : أن يكون المعنى فلا تنسى إلا ما شاء الله أن ينسخ فانه أعلم بمصالح العبيد فينسخ حيث يعلم أن المصلحة فى النسخ .

أما قوله تعالى : « ونيسرك لليسرى » فاليسرى هى أعمال الخير التى تؤدى إلى اليسر .

إذا عرفت هذا فنقول : للمفسرين فيه وجوه :

أحدها أن المعنى سنقرئك فلا تنسى ونوفقك للطريقة التى هى أسهل وأيسر يعنى فى حفظ القرءان .

وثانيها : قال ابن مسعود : اليسرى الجنة . والمعنى نيسرك للعمل المؤدى اليها .

وثالثها : نهون عليك الوحى حتى تحفظه وتعلمه وتعمل به .

ورابعها : نوفقك للشريعة وهى الحنيفية السمحة السهلة .

واللفظ محتمل لذلك كله ، فالأولى أن يراد ذلك كله ، فهو تعالى ييسره لكل ما هو خير وسعادة . وقد قال « ونيسرك لليسرى » بنون التعظيم لتكون عظمة المعطى دالة على عظمة العطاء . وقد دلت هذه الآية على أنه سبحانه فتح عليه من أبواب التيسير والتسهيل مالم يفتحه على أحد غيره . وكيف لا وقد كان صبيا لا أب له ولا أم ، نشأ فى قوم جهال ، ثم إنه تعالى جعله فى أفعاله وأقواله قدوة للعالمين وهاديا للخلق أجمعين ، حتى استحق أن يقال له : « وإنك لَعلى خلق عظيم » بل أن يقسم الحق بحياته حيث يقول : « لَعَمْرُكَ إنهم لفى سكرتهم يَعْمَهُون » ، ثم يقول له : « ولسوف يعطيك ربك فترضى » . فسبحان من حباه وأعطاه ، وجعله أشرف خلق الله ! نسأل الله أن يجعلنا من محبيه ومحبوبيه بمنه وكرمه .

وتعليق التيسير به عليه الصلاة والسلام ، مع أن الشائع تعليقه بالأمور المسخرة للفاعل كما فى قوله تعالى « ويسِّرْلى أمرى » ، للإيذان بقوة تمكينه عليه الصلاة والسلام من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كأنه عليه الصلاة والسلام جبل عليها . وذلك نظير قوله صلى الله عليه وسلم : « اعملوا فكلٌّ ميسَّر لما خُلق له » .

وبالجملة فالمعنى : نوفقك توفيقا مطردا لا صعوبة فيه ، ولا مشقة تعتريه ، فى كل باب من أبواب الدين ، علما وتعليما ، واهتداء وهداية ، فيندرج فيه تيسير طريق تلقى الوحى والاحاطة بما فيه من أحكام الشريعة السمحة والنواميس الالهية ، مما يتعلق بتكميل نفسه عليه الصلاة والسلام وتكميل غيره ، كما تفصح عنه الفاء فى قوله تعالى : « فذكِّرْ إن نفعت الذكرى » .

هذا واعلم أن عادة القرءان أن يرجع الأمور كلها الى الله تعالى ، مبينا أنه لا شيء يخرج عن مشيئته وإحاطته ، فيقول : « وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس » ويقول : « من يهد الله فهو المهتد » . ويقول : « وما تشاءون إلا أن يشاء الله » . ويقول : « واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه » . ويقول : « ونقلّب أفئدتهم وأبصارهم » ويقول : « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده ، وهو العزيز الحكيم » ويقول : « فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء » ويقول : « اليه يرجع الأمر كله » . ويقول صلى الله عليه وسلم : « كل ميسر لما خلق له » . ويقول فى تفسير الايمان « وأن تؤمن بالقدر خيره وشره » . الى غير ذلك مما ورد فى الكتاب والسنة مما يثبت إحاطة الربوبية ، ويبين أن الله هو مسبب الأسباب وفاتح كل باب .

وهكذا يجب أن يكون رب العالمين ، وأقدر القادرين ، وأحكم الحاكمين ، ولكن ينبغى أن تعلم أنك من الأسباب أيضا ، وقد خلقت خلقة عجيبة ، فجعل فيك من العلم والاختيار والاستعداد لقبول ما جاءت به الرسل ، ومن العقل والفكر ما يعرفك النجدين ، ويهديك الى سعادة

على التفصيل لا أخبر عن وقوع شيء فى المستقبل إلا مع هذه الكلمة ، تبيينا لكون الأشياء كلها مرتبطة بمشيئتنا ، وتعليما لكم أن ترجعوا كل شيء إلينا ، فعليكم أن تقولوها فى كل شيء ، وأن تلاحظوها عند كل عمل .

(٢) قال الفراء : إنه تعالى ماشاء أن ينسى محمد عليه السلام شيئا ، إلا أن المقصود من ذكر هذا الاستثناء بيان أنه تعالى لو أراد أن يصير ناسيا لذلك لقدر عليه كما قال : « ولئن شئنا لنذهبنّ بالذى أوحينا إليك » ، ثم إنا نقطع بأنه تعالى ماشاء ذلك . وقال لمحمد عليه السلام : « لئن أشركت ليَحبَطن عملُك » مع أنه عليه السلام ما أشرك ألبتة ، فهى من هذا القبيل .

وبالجملة ففائدة هذا الاستثناء أن الله تعالى يعرفه قدرة ربه حتى يعلم أن عدم النسيان من فضل الله وإحسانه لا من قوته . فكأن المقصود من ذكر هذا الاستثناء بقاؤه عليه السلام على التيقظ فى جميع الأحوال .

(٣) يصح أن يكون الغرض من قوله إلا ماشاء الله ، نفى النسيان رأسا كما يقول الرجل لصاحبه : أنت سهيمى فيما أملك إلا ماشاء الله ، ولا يقصد استثناء شيء .

(٤) قال مقاتل : إلا ما شاء الله أن ينسيه ، ويكون المراد من الإنساء هاهنا نسخه كما قال : « ما ننسخ من آية أو نُنسها نأت بخير منها أو مثلها » فيكون المعنى : إلا ما شاء الله أن تنساه على الأوقات كلها فيأمرك ألا تقرأه ولا تصلى به ، فيصير ذلك سببا لنسيانه وزواله عن الصدور .

أما قوله تعالى : « إنه يعلم الجهر وما يخفى » ففيه وجهان :

أحدهما : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرأ مع جبريل عند الوحى مخافة النسيان ، فقيل له : إن الله عالم بجهرك فى القراءة مع قراءة جبريل عليه السلام ، وعالم بالسر الذى فى قلبك وهو أنك تخاف النسيان ، فلا تخف فأنا أكفيك ما تخافه . ويكون مثل قوله « لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرءانه ، فاذا قرأناه فاتبع قرءانه » .

والثانى : أن يكون المعنى فلا تنسى إلا ما شاء الله أن ينسخ فانه أعلم بمصالح العبيد فينسخ حيث يعلم أن المصلحة فى النسخ .

أما قوله تعالى : « ونيسرك لليسرى » فاليسرى هى أعمال الخير التى تؤدى إلى اليسر .

إذا عرفت هذا فنقول : للمفسرين فيه وجوه :

أحدها أن المعنى سنقرئك فلا تنسى ونوفقك للطريقة التى هى أسهل وأيسر يعنى فى حفظ القرءان .

وثانيها : قال ابن مسعود : اليسرى الجنة . والمعنى نيسرك للعمل المؤدى اليها .

وثالثها : نهون عليك الوحى حتى تحفظه وتعلمه وتعمل به .

ورابعها : نوفقك للشريعة وهى الحنيفية السمحة السهلة .

واللفظ محتمل لذلك كله ، فالأولى أن يراد ذلك كله ، فهو تعالى ييسره لكل ما هو خير وسعادة . وقد قال « ونيسرك لليسرى » بنون التعظيم لتكون عظمة المعطى دالة على عظمة العطاء . وقد دلت هذه الآية على أنه سبحانه فتح عليه من أبواب التيسير والتسهيل مالم يفتحه على أحد غيره . وكيف لا وقد كان صبيا لا أب له ولا أم ، نشأ فى قوم جهال ، ثم إنه تعالى جعله فى أفعاله وأقواله قدوة للعالمين وهاديا للخلق أجمعين ، حتى استحق أن يقال له : « وإنك لَعلى خلق عظيم » بل أنّ يقسم الحق بحياته حيث يقول : « لَعَمْرُك إنهم لفى سكرتهم يَعْمَهُون » ، ثم يقول له : « ولسوف يعطيك ربك فترضى » . فسبحان من حباه وأعطاه ، وجعله أشرف خلق الله ! نسأل الله أن يجعلنا من محبيه ومحبوبيه بمنه وكرمه .

وتعليق التيسير به عليه الصلاة والسلام ، مع أن الشائع تعليقه بالأمور المسخرة للفاعل كما فى قوله تعالى « ويسّرلى أمرى » ، للإيذان بقوة تمكينه عليه الصلاة والسلام من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كأنه عليه الصلاة والسلام جبل عليها . وذلك نظير قوله صلى الله عليه وسلم : « اعملوا فكلٌ ميسّر لما خُلق له » .

وبالجملة فالمعنى : توفقك توفيقا مطردا لا صعوبة فيه ، ولامشقة تعتريه ، فى كل باب من أبواب الدين ، علما وتعليما ، واهتداء وهداية ، فيندرج فيه تيسير طريق تلقى الوحى والاحاطة بما فيه من أحكام الشريعة السمحة والنواميس الالهية ، مما يتعلق بتكميل نفسه عليه الصلاة والسلام وتكميل غيره ، كما تفصح عنه الفاء فى قوله تعالى : « فذكّر إن نفعت الذكرى » .

هذا واعلم أن عادة القرءان أن يرجع الأمور كلها الى الله تعالى ، مبينا أنه لا شيء يخرج عن مشيئته وإحاطته ، فيقول : « وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس » ويقول : « من يهد الله فهو المهتد » . ويقول : « وما تشاءون إلا أن يشاء الله » . ويقول : « واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه » . ويقول : « ونقلّب أفئدتهم وأبصارهم » ويقول : « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده ، وهو العزيز الحكيم » ويقول : « فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء » ويقول : « اليه يرجع الأمر كله » . ويقول صلى الله عليه وسلم : « كل ميسر لما خلق له » . ويقول فى تفسير الايمان « وأن تؤمن بالقدر خيره وشره » . الى غير ذلك مما ورد فى الكتاب والسنة مما يثبت إحاطة الربوبية ، ويبين أن الله هو مسبب الأسباب وفاتح كل باب .

وهكذا يجب أن يكون رب العالمين ، وأقدر القادرين ، وأحكم الحاكمين ، ولكن ينبغى أن تعلم أنك من الأسباب أيضا ، وقد خلقت خلقة عجيبة ، فجعل فيك من العلم والاختيار والاستعداد لقبول ما جاءت به الرسل ، ومن العقل والفكر ما يعرفك النجدين ، ويهديك الى سعادة